ما هي المشكلة الكوردية من وجهة نظر بيروفيسور جمال نَبَز؟

الكاتب: حسام الدين خاكپور(هيوا)

جمال نَبَز (1933-2018) كأحد ركائز ومؤسسي الكوردلوجي الحديث ، كرّس أكثر من 60 عامًا من عمره الذي يناهز 85 عامًا للبحث والكتابة عن الكورد وكردستان. بالإضافة إلى تأليفه للعديد من الكتب باللغات الكردية والعربية والألمانية والإنجليزية حول القضية الكوردية، فقد أضاف أيضًا تجربته المعيشة لجزء من التطورات التي حدثت في القرن المنصرم، إلى أبحاثه الجامعة المتشعبة الأطراف و قدّم في آثاره صياغة خاصة للقضية الكوردية. يرى جمال نبز، الكورد له تأريخه، أرضه،جغرافيه، لغته وثقافته، والأهم من ذلک كله، لهم مشاعرهم المشتركة ووعيهم الخاصة بهم. لذلك، فلهم الحق في تقرير مصيرهم كبقية الشعوب و الأمم، لا أكثر و لا أقل، فلهم الحق في السيادة السياسية المستقلة على أرضها. لهذا السبب، يعتقد جمال نبز بأنّ "الديمقراطية"، التي تعاني من أزمة المعنى بسبب كثرة الاستخدام، ليست المشكلة الرئيسية للأكراد في إطار دول أخرى مثل بلاد الفرس والأتراك والعرب، فيلاحظ أن النسخ اليمينية و اليسارية من الديمقراطية التي يصبح الكورد كبش الفداء لدمقرطة الدول المسيطرة على كوردستان، تشويهاً للقضية الكوردية. يؤمن نبز بالديمقراطية والاشتراكية والمساواة الجنسية و مراعاة غيرالمشروط لحقوق الأقليات و إزالة أي شكل من أشكال الهيمنة، و هذا كله في كوردستان المستقلة والعلمانية. فهو يجادل من المنظور التأريخي و هكذا من المنظور الفكري و الفلسفي، و يقول لماذا الحكومات الوطنية القومية التي تهيمن على كردستان، لا في المستوى الأعلى أي الساسة و الفاعلين السياسيين(فيلقب خاصة تركيا العثمانية بالذئب الأغبر Görgabur ، النظام الأكثر فاشية)، ولا على المستوى المتوسط ، أي المثقفين والأكاديميين من الفرس، والأتراك والعرب ، ولا في المستوى الأدنى أي جماهير تلك الشعوب، لا يستسلمون للديمقراطية. إذن ليس

هناك أيّ مبرر أخلاقى أو فلسفى لمنع الشعب الكوردى من ممارسة حقه الطبيعى في تقريرمصيره، استنادا على مفهوم الديموقراطية و آلة دمقرطة الدول المسيطرة على كوردستان.

هكذا ينتقد جمال نبز تلك المفاهيم التي تعتبر طبيعية و مستوعبة و بديهية حتى بين النخبة الكردية، على سبيل المثال و لا الحصر، يطلقون على أنفسهم الإثنية أو الأقلية وقد قبلوا و أذعنوا غيرواعين إثنيتهم من لسان الآخر المسيطر، دون أن يتنبّهوا إلي أن إبراز مفهوم الإثنية و الأقلية متساوٍ تمامًا و معادل بالضبط، لإنكار حق السيادة السياسية للآخرين. ففي هذا الصدد، ينتقد نبز البورجوازية الصغيرة الكوردية المتعلمة، بأن جزأ من الإستعباد و الإنقياد و قبوله الإستباقي تم من خلال العقول المأسورة لما يسمى بالنخب و الكوردية و متعلميهم، الذين تأثر تفكيرهم بالمنظومة الفكرية لـمستعمريهم. يستخدم جمال نبز مفهومي الإستعمار والإحتلال (أنظروا كتاب كفاح الكورد ، 1954) للأوضاع الراهنة فى كوردستان قبل أي مفكر و أكثر منهم. وعلى حد قوله، فإن التحرير من هذا الاستعمار والاحتلال لا يمكن أن يتحقق بالديمقراطية وأشكالها المختلفة، من الديمقراطية الإسلامية، إلى الديمقراطية الليبرالية فإلى الديمقراطية الراديكالية. (أصبحت الديمقراطية الراديكالية، بصفتها يوتوبيا سياسية تعد الجنة المفقودة على الأرض، لقلقة لسان بعض المثقفين الكورد اليوم ، وأحد الأحزاب الكوردية يتكلّف بتنفيذ هذه الجنة المفقودة. هكذا الديمقراطية الراديكالية أيضا لا تفهم هذا النوع من الاستعمار الأرضي والثقافي واللغوي بأي شكل من الأشكال).

باختصار، فإن أعمال جمال نبز، كأحد مؤسسي الكوردلوجي الحديث (التي أعتقد أن جميع الطرق يجب أن تمر عبر جمال نبز بطريقة ما و كما قيل: كل الصيد في جوف الفرا) هي استعادة من القومية الكوردية كشعب مستقل ومنح الثقة بالنفس الفكرية للمثقفين الألكوردي. حتى يتمكنوا من إيجاد انفصال معرفي عن الآخرين و مع نقلة نوعية، تمهيد مجال مناسب لقراءة العالم بمنظار الأنطولوجيا الكوردية. فمن وراء ذلك كله، وبالوقوف على أرضية صلبة من الوعي الذاتي الكوردي، يتمكنون من أشكلة قضيتهم، في عالم اليوم المعقد كامل التعقيد ولا يصبحوا طائعين عبدة هذه النظرية أو تلك، أو هذا الايدولوجيا أو ذاك.

فالمتطلبات البارادايمية للعالم الحديث والشكل السياسي الذي لا يزال قائما، أي الدولة القومية (Nation state –)، جعلت عودة جمال نبز والعودة إلى جمال نبز أمرا حيويا في مناخ هذه الأيام و وقتها و وسياقها.